13

روافد الحجاج في تحقيق الإقناع في الشعر الأندلسي في عصر الموحدين

م.م. جلال حسن محمد
مديرية تربية صلاح الدين
أ.د. جمعة حسين يوسف
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة تكريت

الملخص

ان دراسة الادب الأندلسي تكشف لنا الحضارة العربية العريقة التي كانت لأسلافنا في بلاد الأندلس وتطلعنا على المستوى الادبي المتقدم لشعراء الأندلس وتبين قيمة النصوص الأدبية , التي لا يتطرق اليها الشك , وذلك انها مثلت فترات التأريخ الأندلسي وكان لها اثرها في ذلك المجتمع وثقافته وقد استوقفتنا روافد الحجج الإقناعية التي وظفها الشعراء لإقناع المتلقي بأفكارهم وتطلعاتهم وتطلعات وافكار خلفاء الدولة الموحدية ولذلك اخترنا عنوان الدراسة ((روافد الحجاج في تحقيق الإقناع الشعري)) خصوصا واننا لم نجد دراسة تسلط الضوء على بلاغة الإقناع على النصوص الشعرية في ذلك العصر . وقد اشتملت الدراسة على مقدمة ومحورين , المحور الاول تحدث عن مراعاة المقام واثره في تحقيق الإقناع الشعري , والمحور الثاني تناول الاساليب الحجاجية ومنها التكرار , والاحتجاج بذكر الخصم , والاحتجاج بالسخرية ,والاحتجاج بالحدث التأريخي .

التمهيد

تتعدد نقاط الاهتمام بمختلف الأساليب التي يلجأ اليها الشعراء للإقناع والتي من شانها أن تدعم الطاقة الحجاجية في الخطاب الشعري وتعضده في سعيه نحو غاية ينشدها وهدف يقصده ولذا نهتم في هذا القسم من البحث بروافد تحقيق الإقناع في الخطاب الشعري وما يقوم به الشاعر من توجيه متلقيه نحو غاية يسخر لها كل جزئيات القول ودقائقه , فندرس مراعاة المقام ومقتضيات الحال[1] ونخوض في فن صور التمثيل الحجاجي التي من شانها ان تستثير العواطف وتحرك النفس فتجعل متلقي الرسالة يذعن لما ارسل اليه , وهو مقتنع برسالته الإقناعية تمام الإقتناع , ولذا سوف ندرس تلك الروافد الحجاجية التي تحقق الإقناع في الخطاب الشعري.

اولا ـ مراعاة المقام :

للمقام مكانة مهمة بوصفه وسيلة إقناعية حجاجية تراعي احوال المخاطبين إذ قال: بشر بن المعتمر " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات , فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما , ولكل حالة من ذلك مقاماً , حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني , ويقسم أقدار المعاني على اقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "[2] فالمقام ومراعاة مقتضى احوال السامعين من العناصر الإقناعية المهمة في الشعر فقد قالت العرب قديما في المقام (لكل مقام مقال)[3] وفي مقتضى الحال (لكل حادث حديث) فمراعاة المقام غايته حجاجية إقناعية مراعيا بذلك كل الفئات الاجتماعية حسب طاقتها وقدراتها الكلامية واستيعابها ومقتضى احوالهم فالشاعر لسان مجتمعه وابن بيئته وقد يعدل عن فكرة او رأي او موضوع او قضية مهمة من أجل ارضاء من هم اعلى سلطة منه كوزير او ملك او غيرهم ؛ لأن المقام لا يسمح بطرح تلك الفكرة التي تعارض افكار اهل السلطة [4]

تحدث البلاغيون والنقاد العرب كثيرا عن المقام وعدوه مناسبة القول وملابساته ودعوا الى الى ضرورة ان تُراعى مواقفه وخصائصه إذ يقول ابو هلال العسكري(ت 395هـ):"وأعلم أن المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال فإذا كنت متكلما واحتجت الى عمل خطبة لبعض ما تصلح له الخطب أو قصيدة لبعض مايُراد له القصيد فتخط الفاظ التكلمين مثل الجسم والعرض والكون والتأليف فإن ذلك هجنة[5]"

واشار اهل البلاغة على ضرورة مرعاة المقام إذ على المرسل " أن يكون عارفا بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له , فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة , والإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز في مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة , ولايستعمل الفاظ الخاصة في مخاطبة العامة من القول بمقدارهم ويزنهم بوزنهم"[6] وقد جعل الجاحظ مراعاة المقام والحال أساسا للعلاقة بين المتكلم والمستمع وشرطا لكل خطاب إقناعي فالمرسل يطلب منه أن يراعي إقدار مستمعيه ومنزلتهم وظروفهم ومواقفهم[7] تجاه الفكرة المطروحة ولذا "فمدار الامر إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم وعلى أقدار منازلهم"[8] وإذن تكمن قيمة الخطاب الإقناعي في أن يجسد كل فئات المستمعين فلا يمكن ان يحصل التواصل ولا الإقناع اذا كان خطاب المتكلم موجه الى طبقة معينة وهو يخص طبقة غيرها[9] فالشاعر لا يستطيع التأثير في متلقيه ما لم يأخذ بنظر الاعتبار أحواله وخصائصه وهويته ومراعاة احوال البيئة التي يعيش فيها " ليدخل اليه من بابه ويداخله في ثيابه "[10] فالخطاب الموجه الى عامة الناس غير الموجه الى الخاصة منهم " لأن العامي إذا كلمته بكلام العلية سخر منك "[11] وإذا خاطبت الخاصة بألفاظ سوقية وغير مناسبه لمقامه ومرتبته فسوف ينفر منك المتلقي واستجلبت للرسالة الإقناعية اسباب الفشل في كسب الودّ والاستمالة والإقناع [12] فالناس مراتب وكل مستمع يجب ان تكون له طريقة تعامل خاصه واختيار ما يناسبه من الالفاظ فالسوقي تخاطبه بالفاظ سوقية والوحشي من الناس تواجهه بالكلام الوحشي " فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي "[13] فمن الضروري ان يجعل الشاعر متلقيا في ذهنه في كل مراحل القصيدة إذ تشترك القصيدة مع كل عمل أدبي لغوي آخر في كونها خطابا منجزا بين متكلم , ومتلقتكمها اوضاع مختلفة من الإبلاغ والتلقي والشاعر بمقتضاها بغير اداوته وآلياته , فمن المهم أن تتلاءم شخصية المتكلم مع ما يرسمه في خطابه ويحرص على الظهور بمظهر يجعله جديراً بالثقة والتصديق وكل ذلك يجعل المتلقي يقبل بأفكاره ويذعن لخطابه[14] .

وطبقا لمقولة العرب لكل مقام مقال فإذا كان المقام مقام غزل احتاج الشاعر في إقناع المرأة الى شيء من الوصف والتغني بجمالها وخصالها ويظهر نفسه بمقام العاشق الوفي الذي يصون العهد ويحفظ الحب ويظهر الشاعر براعة كبيرة في تمثيل دور المحب , ويستحضر الاسلوب الرقيق

الذي يسحر القلوب من خلال وصف جمال المحبوبة ويقنع المتلقي تمام الإقناع بصدق مشاعره وأنه يعاني الوجد ولوعة العشق والفراق وقد تجسد هذا اللون في

وغالبا ما نجد الشاعر في صورة العاشق الذليل الخاضع للحبيبته , والمضحي من أجل الحبيبته والمتفاني برغم قسوة محبوبته وتصاغ هذه المعاني في اسلوب سهل عذب رقيق[15] يجذب المتلقي ويستثير عواطفه فيقنع اقناعا تاماً بما اراد الشاعر كما في هذا النص الشعري لأبي الحسن بن معاوية الطرياني(16)إذ قال(17):

لا أراك الله يـــــا أملـــــــي ... مـــا رأت عـيـنـي مـــن السهـــــرِ

خُـلـقـــت نـفسـي مُـــفـــزعـــةً ... قبـــل ان تـحتـــل فـــي بـــصري

فـــغـــدت مـــلأ تـجـيش هـــوى ... بأتصال الشوق والـــــفـــــكـــر

ويلـــــوم الـعـاذلـــــون ومـــــا ... يعلـمـــــون العـــيـــن بالأخـــــر

لـــــــــــــو دروا اني أهيم بمن ... قـــلـــبـــهُ اقسى من الحـــــجـــرِ

وانـــــا فـــي طـــوعـــه أبـــدا ... كاتباع الظـــــل للـــــصّـــــورِ

عـــــذروا فـــي محنتـــــي ورأوا ... أنهـــــا مـــن جُمـــلة العبـــر

تُظهرُ لنا الابيات صـورة الاخلاص والتفاني والمعاناة التي عاشـها في حبه , فالشـاعر لا يتمنى للمحبوبة ان تعيش المعاناة والعذاب الذي عاشـه وما عاناه من سـهر وعذاب ورغم ما عاش الشـاعر من قسـوة الحبيبة الا أنه على العهد باقي ولا تغيره قسـوة الايام ورغم أن الحبيبة تقسـو عليه الا أنه خاضع لها خضوعا تاماً ويصور هذا الخضوع والحب بأجمل الصور إذ شبه خضوعه لها بأتباع الظل للصـورة فهو تابع لها وكأنه ظلها فهي من تتحرك بكل حرية وهو التابع الذليل وقد جاء الشـاعر بكل الادلة على تهالله وخضـوعه وأفراطه في الشـوق والحنين رغم قسـوة المحبوبة , والغاية من ذلك ليقنع المتلقي بحبه الصـادق الذي بلغ اقصى غاية العشـق والوجد واللهفة .ولذا فإن من تجليات المقام في الغزل ان يظهر الشـاعر خضـوعا ورقة في حب المرأة ويشـكو من قسـوتها وهجرها ويصـور ما يختلج في نفسـه من حرقة الشـوق والاسى لرحيلها وخسـارتها وحرمانه منها[18] , وهي تبالغ في صـدها وقسـوتها ففي هذه الطريقة يصـل الشـاعر الى قلب المتلقي ويقنعه ويكسـب تعاطفه واشـفاقه لأن " النسـيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة وتظاهرت فيه الشـواهد على إفراط الوجد واللوعة وما كان من التصـابي والرقة أكثر من الخشـوع والذل اكثر من مما يكون فيه من الأباء والعز فإذا كان النسـيب كذلك فهو المصـاب به الغرض "[19]

واما اذا كان المقام مقام مدح عمد الشاعر الى استحضار كل الخصال العربية الأصلية والقيم الاجتماعية التي ترفد حجج الشاعر وتقنع المتلقي وهذا الشاعر ابن مرج الكحل يضفي على ممدوحيه الجود والشجاعة إذ قال:[20]

جوادٌ يرى أن الغنى غيرُ مُدبرٍ ... شُجاعٌ يرى أن الرَّدى غيرُمقبل مقبلِ

إذا امتطى في الحربِ صهوةَ سابحٍسابحٍ ... وصال بعضبٍ في الكريهةِ مفضل

رأيت غزالاً يستطيرُ بضيغمٍ ... مُشحٍ وبحراً يستطيلُ بجدولِ

وإن خالطت غُلب الرقابِ سُيُوفهُ ... رأيْتَ رُؤُوساً يختلطنَ بأرجلِ

بما ان المقام مقام مدح للخليفة استخدم الشاعر أسلوب المقابلة في البيت الأول فقابل بين الكرم والشجاعة ليضفي على ممدوحه من ابرز صفات الفروسية والكرم والشجاعة , فهو يرى إن الكرم وكثرة العطاء لا يذهب الغنى , وفي المعركة يرى إن الشجاعة والاستبسال في قتال الاعداء لا يجلب الموت للفارس الممدوح فهو غير آبه بالردى فترى سيفه يحز رقاب الأعداء حتى تخالطت رؤوسهم وأرجلهم فالشاعر راعى مكانة الممدوح وخاطبه بما يحرك فيه الشجاعة والمروءة ويقنعه بالعطاء والكرم .

واما اذا كان المقام مقام حرب او تهنئة بالنصر استحضر الشاعر من القيم ما يلائم هذا المقام فيذكر القيم الدينية واحيانا يمزج القيم الدينية بالقيم الاجتماعية ومن القصائد التي نُضمت في هذا المقام قصيدة لعلي بن حزمون يهنئ بها الخليفة الموحدي في الانتصار بمعركة الأرك قائلا[21].

حَيَّتْك مُعطَّرةَ الَّنفسِ ... نَفحاتُ الفتحِ بأندلُسِ

فذر الكفار ومأتمهم ... إن الاسلام لفي عُرس

امام الحق وناصرهُ ... طهرت الأرض من الدنس

وملأت قلوب الناس هدى ... فدنا التوفيق الملتمس

رفعت منار الدين على ... عمدٍ شمٍ وعلى أسُس

فقد جاء الشاعر بمفردات تتلاءم مع مقام القصيدة التي قيلت بمناسبة انتصار جيش الموحدين وتهنئة الخليفة بهذا النصر العظيم فذكر فيها الفاظ اسلامية منها(الفتح , الكفار , الاسلام ,إمام الحق , طهرت الارض من الدنس , ملأت قلوب الناس هدى , رفعت منار الدين) , كما نجد أن الشاعر قد وظف الافعال الماضية في النص الشعري بكثرة (حيتك , طهرت , ملأت , دنا , رفعت) والافعال الماضية تدل على ثبات الامر المطروح وتحققه , والشاعر اراد أن يثبت للمتلقي بأن الامر قد تتحقق واصبح نصر المسلمين واقعا بفضل الله ومن ثم التخطيط السليم من قبل الخليفة ناصر أهل الأندلس فقد وظف الشاعر من الكلام ما يناسب المقام , واراد من ذلك حث الخليفة الى قتال اعداء المسلمين والدفاع عن مدن الاندلس ومن ثم حث الناس واقناعهم لتأييد الخليفة الموحدي والمشاركة في الجهاد ضد الاسبان.

وان كان المقام مقام استنجاد واستصراخ اثنى الشاعر على الشخص المقصود وبعد ذلك يذكره بالاخوة الإسلامية وبخطر العدو على الاسلام والمسلمين و ومن ثم يذكره بما قام به القادة الاوائل من المسلمين اثناء فتح الاندلس وما اعقبه من معارك مهمة انتصر الموحدون فيها , ولذا وجب على القائد الذي يطلب منه النجدة ان يستل سيفه للحفاظ على المدن الاندلسية والدفاع عنها , وخير شاهد على ذلك قول أبي المطرف محمد بن احمد المخزومي يستصرخ الأمير الموحدي عندما اشتد الحصار عليه وعلى أهل بلده قائلاً [22]:

تـدارك أمـيـر المـؤمـنـيـن دمـاءنـا ... فـإنـك لـلإسـلام والـديـن نـاصـرُ

ووجـه الى اسـتـنـقـاذنـا بـكـتـيـبـةٍ ... يهـابُ الـردى منهـا الـعـدُ المحـاصـرُ

تنقس من ضـيـق الجنـان يقصـرنـا ... فـتـدركُ آمـالُ وتـرعـى اواصـرُ

ومن ثم يهجو العدو ويمدح الخليفة ومنها

فليـت ابن سـعـد إذ تـألف مـا نعـت ... فلم تتمخض عن قواه العـنـاصـرُ

سُـتـذهـبُ أنـوار الخـلافـة ظلـمـه ... وتـلـفـظـهُ بـعـد الخـيـول المـقـاصـرُ

ويهـدم مـا قـد أسـس الكفرُ عـنـده ... كريمُ السَّـنـا تثنى عليـه الخنـاصـرُ

فـهـذا الـذي بـنى المسـاجـدُ أمـره ... وأمرُ ابن سـعـدٍ أن تُشـاد المعاصـرُ

وذا المـلـكُ آيـات المـثـانـي تـهـزهُ ... وذاك بـاصـوات المثـاني البـنـاصـرُ

بـقـيـت أمـير المـؤمـنـين مـخـلـداً ... وكلُّ الورى عن كُنهِ وصفك قاصرُ

يطلب الشـاعر من الامير ان يتدارك دماء المسـلمين , ولما كان الخطاب موجه الى الامير راعى فيه الشاعر المقام وجاء الطلب بأحترام واستعطاف و رغم أن محاصر هو واهل مدينته وهو في خطر , ويحاول ان يستثير عاطفته من خلال وصفه بانه ناصر الاسلام والمسلمين وأهل الدين , ويطلب من الامير ان يوجه كتيبة من الفرسـان الشـجعان تُدخل الرعب في قلوب في قلوب الاعداء وبعد ذلك يتوجه بالهجاء للعدو (ابن سـعد) واتباعه, ويصـف جبن عناصـره بالقتال , وعلى العكس يمدح الخليفة ويصفه بانه باني المساجد ومطبق حدود الدين وهو من يزيل ظلم العدو , ونلاحظ ان الشعر قد استثمر الالفاظ الدينية كي يستطيع ان يثير في نفس الخليفة الحمية ويذكره برابط الدين الأسلامي التي تربط المسلمين جميعا وقد وظف الشاعر الجناس التام بين لفظتي(المثاني) للمقارنة بين حال ممدوحيه وبين العدو فهذا يهتز لسـماع القرآن و وهذا يهتز لصـوت البناصـر واراد الشاعر بصوت البناصر كناية عن الموسيقى , فشتان بين من يخشع لصوت القرآن وبين من يهتز لسامع الموسيقى , فالشاعر اراد استغل الوازع الديني في رسالته الإقناعية للتأثير على الممدوح للحصول على النجدة والنصرة من الأمير .

واذا كان المقام مقام حكمة ونصح وارشاد حرص الشاعر على الظهور بمقام الناصح الامين الذي جرب كل ظروف الحياة وتقلباتها واصبح خبيرا بما تتطلبه الحياة ومن الحكم التي دعا اليها الشعر حكمة الاعتدال في كل شيء فالاعتدال منهج سليم دعت اليه الشريعة الإسلامية وقد تمثل ذلك في قول ابي البقاء الرندي[23]:

إحفظ المال ولا تحرص فما ... تدرك الارزاق الا بالقسمِ

واعتدل بالحبِ والبغضِ معا ... فكلا الأمرين يعمي ويصم

واكظم الغيض فلا يحمد من ... شفا الغيظ ولكن من كظم

واجتنب ما يكره الناس ولا ... تتعرض لمظنات التهم

بدا الشاعر هذه الابيات بالنصح والارشاد بحكم تجربته في الحياة في امور عدة التزام الوسطية في انفاق المال وعدم الحرص , فالارزاق مقسومة من رب العباد , ومن ثم يوصي متلقيه بالاعتدال في الحب والبغض فالحب المفرط يجعلك ترى المحبوب ملاك وبدون عيوب , وكذلك البغض الذي يخرج عن حد المعقول يجعلك ترى الشخص المقصود بلا حسنات لأنك تراه بعين البغض , ومنم ثم يوصي بكظم الغيظ لأنه خلق عظيم ثمرته التألف بين الناس ويخلق مجتمع متماسك تسوده الألفة والمحبة والتعاون وقد اقتبس البيت الشعري الذي تحدث عن كظم الغيظ من القرآن الكريم من قوله تعالى ((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)) [24] واخيرا يوصي المتلقي باجتناب مايكره الأخرين كي لا يكون عرضة للتهم , فالشاعر ارتدى ثوب الشيخ الناصح الذي اخذ العبر والدروس من مدرسة الحياة , وهذه النصائح تزيد الطاقة الإقناعية للرسالة التي يريد الشاعر ان يوصلها الى المتلقي عن طريق ابياته الشعرية.

ومن خلال ما تم طرحه سابقا فالشاعر مطالب بمراعاة ظروف خطابه الشعري واحوال المستمعين فيلاءم بين خطابه وبين الظروف والاحوال ملاءمة تجعل خطابه يؤثر في المتلقي وتستثير عواطفه وخاصة الممدوح فيلبي ما يريد منه صاحب الرسالة الإقناعية .

ثانيا :الاساليب الحجاجية

كثيرا مايعتمد الشاعر على قوة أساليبه وتنوعها ليجذب المتلقي وإثارته وتهيئة لقبول الحجج والإقناعية بالنتيجة وقد ادرك الشعراء أهمية الاسلوب فراحوا يتفننون في القول , ويوظفون كل ما من شأنه تقوية البيان وزيادة التأكيد والقبول فتنوعت اساليبهم وتباينت حججهم. [25]

وسنحاول ان نبين الحجج الاقناعية في بعض الاساليب التي وردت في الخطاب الشعري ومنها

1ـ التكرار: شكل التكرار عنصرا هاما في بناء القصيدة العربية بشكل يجذب المتلقي ويغريه بقراءة النص الشعري والتكرار في اللغة لا يخرج عن معاني الإعادة والرجوع إذ جاء في لسان العرب " كرر الشيء أعاده مرة بعد مرة أخرى , والكرة : المرة والجمع الكرات , ويقال : كررْتُ عليه الحديث إذا رددته عليه والكرُّ الرجوع , ومنه التكرار" [26]وهذا يعني أن التكرار ترديد لمعنى اللفظ أو إعادة له

لغرض ما فالشيء إذا تكرر تقرر , والتكرار هو أحد وسائل الحجاج التي يوظفها الشاعر في النص الشعري.[27] وقد وظف الشاعر الشعراء في الأندلس تقنية التكرار للتعبير عما يجول في خواطرهم من هم او حزن او حب وغيرها من العواطف ولاقناع المخاطب بالافكار التي يطرحها المرسل من خلال تقديم الحجج ومن سياقات التكرار قول الرندي في رثاء الأندلس إذ قال[28]

قواعد كن اركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان

تبكي الحنيفية البيضاء من أسفٍ كما بكى لفراق الألف هيمان

على ديار من الإسلام خاليةٍ قد اسلمت لها بالكفرِ عمران

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان

لعب التكرار دورا هاما في الابيات الشعرية في اظهار الحزن والاسى , إذ كرر الشاعر لفظة البكاء الصريحة في الابيات الشعرية ثلاث مرات وقد جاءت مرتين بصيغة المضارع (تبكي الحنيفية , المحاريب تبكي) وجاء مرة واحدة بصيغة الماضي (بكى لفراق) فجعل الجماد يبكي على خسارة الأندلس ويرثي مدنها فالمحاريب تبكي والمنابر ترثي مجد الاسلام الذي ضاع في الأندلس وبهذا التكرار قدم الشاعر حججا إقناعية بمدى لوعة الشاعر وحزنه واسفه وبكاءه على ديار المسلمين في الأندلس التي سقطت بيد الاسبان الواحدة تلو الاخرى واكثر ما يؤلم الشاعر هو اندثار الدين الاسلامي في هذه البقعة التي كانت عامرة بالمساجد والشعائر الدينية , وافاد الشاعر من التكرار هنا التعبير عن عمومية الكارثة التي حلت بالمسلمين في الأندلس .

2 ـ الاحتجاج بالحدث التأريخي :

يلجأ الشاعر الى الاحتجاج بالحدث التأريخي لما يحمله من قوة حججاجية تسهم في اقناع المخاطب على اعتبار أن الحدث التأريخي مشترك بين أبناء الأمة ومتفق عليه فالحدث هو التأريخ الذي تتذكر الاجيال وتردده على مر العصور فإما ان يكون مشرفا او معيبا وكان الشعراء يعرفون ما يهم الخلفاء , فالخلفاء يهمهم المدح والفخر والمجد لاستنهاض الهمم واقناعهم بتاييدهم.[29] وهذا الشاعر الجراوي يمدح الخليفة عبد المؤمن ويهنئه بالانتصار مفتخرا بدور العرب في تحقيق الانتصار على الاعداء فقد سطر فرسانهم أروع ملاحم الفروسية والفداء في معارك الأندلس إذ قال :[30]

لو رَاءَ مُوسى ما فَعلتَ وطارقٌ زَرَيَا بما لهما من الآثارِ

أتمَمتَ ما قد أمَّلُوهُ ففَاتَهُم من نَصرِ دينِ الواحدِ القهارِ

بِعرابِ خَيلٍ فوقهُنَّ أعاربٌ من كُلِّ مُقتَحِمٍ على الأخطارِ

أكرِمْ بِهنَّ قَبائلاً إقلالُها في الحربِ يُغنيهَا عن الإكثارِ

وانظُر إذا اصطفت كتائِبُها إلى ما تَحمَدُ الكُتَّابُ في الأسطارِ

ذكر الشاعر أسماء اعلام في البيت الاول (موسى , طارق) وقصد بهما (موسى بن نصير, طارق بن زياد) فهما القائدانِ اللذانِ فتحا بلاد الأندلس وهما جزء من التراث التاريخي العربي والاسلامي وقد ذكرهما ليدل على أهمية ما قام به القائد عبد المؤمن الذي أعاد للإسلام هيبتهُ في الأندلس ,وفي ذكرهما لتقوية حجته كي يقنع المخاطب بضرورة تأييد القائد الأندلسي الموحدي فهو قد اعاد امجاد العرب الذين فتحوا بلاد الاندلس فهو فعل ما فعله القادة الذين فتحوا بلاد الأندلس بل انه فاق ما قاموا به , ففرسان الامير أبطال يقبلون على المعارك بكلِ ثقةً غير أبهين بالموت فقليلٌ من فرسان العربِ يغني عن الكثير من غيرهم فهم فرسانٌ أشداء لا يهابون المنايا وقد انتصروا على الاعداء في مناسبات عدة ,وبذلك فقد اتخذ الشاعر من الحدث التاريخي حجة كي يقنع القبائل العربية لتنضم وتقاتل مع جيش الموحدين

3 ـ الاحتجاج بذكر الخصم :

يلجأ الشاعر الى ذكر الخصم بوصفه محفزا لقائد الجيش وجنوده وعامة الناس , من خلال نفي افعال التمجيد والفخر عن الخصم , والتذكير بوحشيته اذا تمكن من ديار المسلمين وبهذا الاسلوب يريد الشاعر ان يستجلى معنى باطن يقوم على الحجاج لاقناع المخاطب بالدفاع عن الارض والكرامة بكل قوة .[31]

وقد استعان ابو العباس الجراوي بحجة الشهادة لهجاء كبير العدو قائلا[32] :

لقد اورد الأذفنش شِيعتهُ الردى ... وساقهم جهلاً الى البطشة الكُبرى

حكى فعل إبليسٍ بأصحابه الأُلى ... تبرأ منهم حين أوردهم بدرا

أطارتهُ شدَّاتٌ تولى أمامها ... شريداً وأنستهُ التعاظُم والكبرا

رأى الموت للأبطال حوليهِ ينتقي ... فطار إلى اقصى مصارعه ذُعراً

وقد أوردته الموت طعنةُ ثائرٍ ... وإن لم يفارق من شقاوتهِ العُمرا

ولم يبق من أفنى الزمان حُماتهُ ... وجرعه من فقدِ أنصارهِ صبرا

ألوفٌ غدت مأهولةٌ بهم الفلا ... وأمست خلاءً منهُمُ دوهُم تعرا

ودارت رحى الهيجاء عليهم فأصبحوا ... هشيما طحيناً في مهب الصبا يُذرى

فكيف رأى المُغترُّ عُقبى اغتراره؟ ... وكيف رأى الغدارُ في غيهِ الغدرا

تتحرك الابيات ضمن دائرة هجاء كبير النصارى فكلمات القصيدة شهادة على غروره وجهله بالتخطيط للمعركة وكيف اورد جيشه مورد الهلاك والموت , ووصف قراره بخوض المعركة ضد جيش المسلمين بفعل إبليس الذي اورد المشركين الهلاك والموت نتيجة اغترارهم بالكثرة , واستمر الشاعر بسرد وقائع المعركة الذي فر منها المهجو هاربا بعد ان تلقى ضربات موجعة من المسلمين ,

وبذلك ذاق مرارة الهزيمة وهو يشاهد جنوده يتساقطون من حوله صرعى مضرجين بالدماء يلقون حتفهم على يد فرسان المسلمين , حتى انهم اصبحوا كالهشيم الذي تذروه الرياح وقد استعان الشاعر بحجة الاقتباس الدينية ليعضد حجته في قساوة المشهد على جيش العدو المنكوب وقد اخذ من قوله تعالى ((فأصبح هشيما تذروه الرياحُ))[33] حتى ان الشاعر يجسد لنا مأساة دورهم التي اصبحت خالية منهم ,

فهذه الابيات شهادة على جهل وغرور الاذفنش وفشل قيادته للجيش وهي رسالة للمتلقي وخاصة جيش المسلمين بأن الاذفنوش وجيشه ضعيف ولا يستطيع الوقف بوجه فرسان المسلمين , كما أن في هذا النص شهادة ضمنية على قيادة جيش المسلمين الحكيمة والتي لديها القدرة على التخطيط السليم في ساحة المعركة وتكسب النصر باقل الخسائر , كما انها شهادة على عنفوان وفروسية جيش المسلمين .

الحجاج بالسخرية :

أسلوب يوظف صورة من الصور الاستعارية , ويسمح بقول ماهو مخالف لما نراه في الحياة اليومية , تشير الى افكار او مفردات يرغب المتكلم في تبيان تهافتها فيلجأ الى عرضها بطريقة ساخرة [34] وهي في معناها المعجمي " الهزء والسُخرة هي الضحكة" [35] اي الاستهزاء والضحك من شيء أو موقف ما بهدف الانتقاص من قيمته أو تحقيره والسخرية منه, وقد يكون بدافع تمرير حقيقة او فكرة وجعلها مقبولة في اطار تواصلي[36] و"المتهكم لا يتهكم إلا للايحاء بالحقيقة"[37] الامر الذي يؤكد صلة السخرية بالحجاج لكن اين يكمن الحجاج بالسخرية وكيف يوظف الشاعر في خطاباته الأسلوب الساخر لتحقيق الاقناع ويتضح ذلك من خلال تعريف برندونير للسخرية عن طريق صلتها بالحجاج فإذا كان الملفوظ يشكل حجة لصالح نتيجة ما فانه في في سياق السخرية يحمل قراءتين , قراءة تجعله حجة لنتيجة هي الاولى , وقراءة ثانية تجعله حجة مناقضة تماما للأولى[38] وهذا لا يعني أن السخرية الحجاجية تنجم عن النقيض الذي يعني الشيء وضده , وانما هي قلب حجاجي . وهذا الشاعر

عمر بن حربون يصور هزيمة العدو في المعركة ويسخر منه ,إذ قال:[39]

تجلل منها المردنيشي خزيةً تناغى بها بين البيوتِ الولائد

وولى بها شوهاء قد فضحتهم كما افتضحت بعد الأماني عامد

قريتم سباع الأرض منها فأصبحت كأن رُباها للعوافي موائد

لقد ايقنوا أن الحتوف مصادر غداة رأوا أنّ الشفار الموارد

فجاءوا كما جاءت أسودٌ بواسل وولوا كما ولت نعامٌ شوارد

قدم الشاعر في الابيات السابقة وصفا لجيش العدو الذي اصابه الخوف وكيف دب الوهن في صفوفهم , فلاذ بالفرار من المعركة , وبقراءة ثانية للابيات فإن المقام فيها مقام ساخرا والابيات حجة يقدمها الشاعر للدلالة على ضعف جيش النصارى الذي كما تقبل الاسود ولكنه اصطدم

بجيش الموحدين البواسل ففر من المعركة كما تفر النعامة وهي المشهورة بالجبن والخوف فالحجة التي قدمها الشاعر من خلال الابيات هي تشير الى نتيجة هي قوة جيش الموحدين وبالمقابل جبن وضعف جيش الاعداء.

ومن خلال ما سبق تطرقنا الى اهم الاساليب التي وظفها الشعراء في سبيل تقوية حججهم الإقناعية للتأثير في المخاطب وحمله على الاذعان والتسليم بما يطرحه من خلال افكار واراء في خطابه الشعري .

الخاتمة

ـــــــ وظّف الشاعر العديد من الأساليب البلاغية لتعد رافدًا من روافد تحقيق الإقناع الشعري اضافة الى خلق جو جمالي يُغري المتلقي ويستثير عواطفه ويحمله على والإذعان والتسليم بمضمون الرسالة الإقناعية.

ـــــــ يعد الإقناع من الفنون التي يمكن من خلالها من خلالها التعرف على نفسية الأديب وقوة اسلوبه وكشف مبتغاه.

ـــــــ لكي يتمكن الشاعر من ايصال رسالة الإقناعية وتحقق المطلوب عليه ان يراعي احوال المخاطبين ويراعي لا يستطيع الشاعر التأثير في متلقيه ما لم يأخذ بنظر الاعتبار أحواله وخصائصه وهويته ومراعاة احوال البيئة التي يعيش فيها فإذا اخذ بنظر الاعتبار مراعاة احوال المخاطبين اقتنع المتلقي بكل الافكار والاراء التي طرحها الشاعر.

ـــــــ من خلال دراستنا هذه تبين لنا ان الشعراء قد نوعوا في اساليبهم في سبيل تحقيق الهدف المنشود من خلال التأثير على المتلقي فقد استثمروا اسلوب التكرار , واسلوب السخرية للتقليل من شأن العدو , والاحتجاج بالحدث التاريخي الذي لعب دورا هاما في التأثير على المتلقي .

الهوامش

---

(1) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : 88 .

(2) البيان والتّبيين , ابوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ , تحقيق عبد السلام هارون , الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة / 1 : 138 ـ 139 .

(3) المصدر نفسه / 1 : 136 .

(4) ينظر الإقناع والتخيل في شعر ابي العلاء : 55 .

(5) الصناعتين , ابو هلال العسكري : 135

(6) البرهان في وجوه البيان : 153

(7) بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية .

(8) البيان والتبين : ج2 /93 .

(9) بلاغة الخطاب الإقناع نحو تطور نسقي لبلاغة الخطاب ، د. حسن المودن , دار كنوز للمعرفة العلمية ، الاردن عمان , ط1 , 1435 هـ ـ 2014 م : 291 .

(10) العمدة ، في محاسن الشعر , وآدابه, ونقده , لأبي الحسن بن رشيق القيرواني / 1 : 199

(11) الصناعتين , لأبي هلال العسكري32 .

(12) ينظر بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تطور نسقي : 294 .

(13) اسرار البلاغة للجرجاني : 144 .

(14) ينظر : الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : 91

(15) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين : د. فوزي عيسى الناشر دار الوفاء للطباعة والنشر , ط1 ـ 2007 م : 110

(16) منسوب الى طريانة المقابلة لمدينة إشبيلة , شاعر وكاتب كبير.ينظر القدح المعلى : 170

(17)اختصار القدح المعلى : 170 ــ 171

(18) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : 100 .

(19) نقد الشعر , قدامة بن جعفر : 43 .

(20) ديوان مرج الكحل الأندلسي : صنعة وتحقيق , البشير التهالي , رشيد كناني , الناشر مكتبة القراءة للجميع – مطبعة النجاح الجديدة - ط1 -1430 هـ - 2009 م .:134 -135 .

(21) المعجب 293 .

(22) الحلة السراء , أبن الابار , حققه وعلق على هوامشه : د. حسين مؤنس , دار المعارف /2 : 269 .

(23) ما لم ينشر من شعر أبي البقاء الرندي , مجلة المورد , مجلد 32 ـ 34 , 2005 : 58.

(24) سورة آل عمران الآية : 134

(25) ينظر , البنية الحجاجية في شعر عزالدين ميهوبي , فوزية زياد , اطروحة دكتوراه , 2019 م جامة وهران : 166- 167 .

(26) لسان العرب , ابن منظور, مادة كرر, /3 :47 .

(27) ينظر ,تعديل القوة الإنجازية , دراسة في التحليل التداولي للخطاب , محمد العبدلي : 336 .

(28) نفح الطيب / 4 : 487

(29) ينظر , الحجاج في شعر ابي فراس الحمداني , زايد محمد ارحيمه الخوالده , بحث منشور , الأثر , العدد : 33 , 2020 : 20

(30)-ديوان الجراوي , صنعة : د. علي ابراهيم كردي , دار سعد الدين , دمشق , ط1, 1994 :88

(31) ينظر , الحجاج في شعر ابي فراس الحمداني : 22

(32) ديوان الجراوي : 91 ـ 92 .

(33) سورة الكهف : 45 .

(34) ينظر الحجاج في الشعر العربي , سامية الدريدي :164

(35) لسان العرب , مادة سخر

(36) ينظر: البنية الحجاجية في شعر عزالدين ميهوبي : 174

(37) المعجم الفلسفي , جميل صليبا : 35

(38)ينظر الحجاج في الشعر العربي , سامية الدريدي :164

(39) تأريخ المن بالإمامة , لابن صاحب الصلاة , : 249 ـ 250 .

المصادر والمراجع

(1) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ,سامية الدريدي , اربد ـ عالم الكتب الحديثة.

(2) البيان والتّبيين , ابوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ , تحقيق عبد السلام هارون , الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(3) ينظر الإقناع والتخييل في شعر ابي العلاء المعري,ابن ابراهيم ابراهيم , بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير , الجمهورية الجزائرية ـ جامعة وهران , 2014 ـ 2015 .

(4) كتاب الصناعتين , ابو هلال الحسن بن سهل العسكري , تحقيق , علي محمد البجاوي و محمد ابو الفضل , دار احياء الكتب العربية , ط1 ـ 1371 هـ ـ 1952 .

(5) البرهان في وجوه البيان , لأبي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سُليمان بن وهب الكاتب , تحقيق , د. حنفي محمد شرف .

(6) بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية , عبد العالي قادا , دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ط1 1437 هـ ـ 2016 م .

(7) بلاغة الخطاب الإقناع نحو تطور نسقي لبلاغة الخطاب ، د. حسن المودن , دار كنوز للمعرفة العلمية ، الاردن عمان , ط1 , 1435 هـ ـ 2014 م : 291 .

(8) العمدة ، في محاسن الشعر , وآدابه, ونقده , لأبي الحسن بن رشيق القيرواني , حققه , وفصله , وعلق حواشيه , محمد محيي الدين , عبدالحميد , دار الجيل , ط5 , 1401 هـ 1981 م / 1 : 19

(9) اسرار البلاغة للجرجاني , الإمام عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني, علق عليه , محمود محمد شاكر , الناشر دار المدني بجدة .

(10) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين : د. فوزي عيسى الناشر دار الوفاء للطباعة والنشر , ط1 ـ 2007 م .

(11)اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى , لأبن سعيد أبي الحسن علي بن موسى , تحقيق إبراهيم الأيباري , القاهرة .

(12) نقد الشعر ,لأبي الفرج قدامة بن جعفر , تحقق , د. محمد عبدالمنعم خفاجي, دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(13) ديوان مرج الكحل الأندلسي : صنعة وتحقيق , البشير التهالي , رشيد كناني , الناشر مكتبة القراءة للجميع – مطبعة النجاح الجديدة - ط1 -1430 هـ - 2009 م .

(14) المعجب في تلخيص اخبار المغرب , عبدالواحد المراكشي , ضبطه وصححه , محمد سعيد العريان و محمد العربي , مطبعة الاستقامة , القاهرة , ط1 - 1368 هـ 1949 م

(15) الحلة السراء , أبن الابار , حققه وعلق على هوامشه : د. حسين مؤنس , دار المعارف .

(16) ما لم ينشر من شعر أبي البقاء الرندي , مجلة المورد , مجلد 32 ـ 34 , 2005.

(17) البنية الحجاجية في شعر عزالدين ميهوبي , فوزية زياد , اطروحة دكتوراه , 2019 م جامة وهران .

(18) لسان العرب, للامام جمال الدين بن منظور الافريقي المصري , دار صادر, بيروت

(19) ينظر ,تعديل القوة الإنجازية , دراسة في التحليل التداولي للخطاب , محمد العبدلي ضمن كتاب , التداوليات علم استعمال اللغة, اعداد وتنسيق حافظ اسماعيل علوي , عالم الكتب الحديث , الاردن , ط 2 , 2014 .

[20] نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب: المقري التلمساني (ت 1041 هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، لبنان – بيروت، ط 1، 1997 م .

[21] ينظر , الحجاج في شعر ابي فراس الحمداني , زايد محمد ارحيمه الخوالده , بحث منشور ,مجلة الأثر .

(22)-ديوان الجراوي , صنعة : د. علي ابراهيم كردي , دار سعد الدين , دمشق , ط1, 1994 .

[23]المعجم الفلسفي: جميل صليبا، دار الكتب اللبناني , بيروت – لبنان 1982م .

[24] تأريخ المن بالإمامة , لابن صاحب الصلاة , تحقيق: د. عبدالهادي التازي , الجمهورية العراقية , دار الحرية للطباعة ـ بغداد , 1979 .